**المحاضرة الخامسة**

قضية الانتحال وتأصيل الشعر (نماذج نصية من المشرق والأندلس والمغرب)

**تمهيد:**

شغلت قضية الانتحال في الشعر العربي نقادنا القدامى واحتلت حيزا كبيرا، وأثارت الكثير من الجدل والخلاف، ومن النقاد الذين ارتبطت أسماؤهم بالقضية: ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء)، الجاحظ في كتابه (الحيوان)، ابن رشيق في كتابه (العمدة).

وقد ارتبطت بالشعر الجاهلي لعدة أسباب منها عدم تدوينه في عصره وبقائه مدة طويلة تتداوله الألسنة، ما جعل كثيرا من الدارسين قديما وحديثا يطعنون في نسبه ويثيرون مسألة الشك في صحته، في بعضه أو في كله كما هو الشأن بالنسبة للمستشرقين، كما تسرَّب الشك حتى في وجود بعض الشعراء الجاهليين.

**مفهوم الانتحال في اللغة:**

جاء في لسان العرب لابن منظور:َ حِل جسمُه، ونَحَل، ينَحَل، وينَحُل نُحولاً، فهو ناحِل: ذهَب من مرض أَو سفَر والفتح أَفصح. وانْتَحَل فلانٌ شِعْرَ فلانٍ : إِذا ادّعاه أَنه قائلُه، وتَنَحَّلَه ادَّعاه، ونَحَله القولَ ينَحَله نَحْلا : نَسَبه إِليه، ونَحَلْتُه القولَ أَنْحَلُه نَحْلاً بالفتح: إِذا أَضَفْت إِليه قولاً قاله غيره، وادّعيتَه عليه. ونُحِل الشاعرُ قصيدة إِذا نُسِبَت إِليه، وهي من قِيلِ غيره، قال الأَعشى في الانتحال:

فكيف أنا وانتحال القوا     في بعد المشيب كفى ذاك عارا؟

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: نَحَلَ: النون والحاء واللام كلماتٌ ثلاث: الأولى تدلُّ على دِقّةٍ وهُزال والأخرى على عطاء،  والثالثة على ادِّعاء. الأولى نَحَل جِسُمه نُحولاً فهو ناحل، إذا دقَّ، وأنْحلَه الهمُّ. والنَّواحل: السُّيوف التي رقت ظباتها من كثرة الضرب بها. والثانية: نحلته كذا، أي أعطيته، والاسم النحل. قال أبو بكر سمي الشيء المعطى النحلان. ويقولون: النحل: أن تعطي شيئا بلا استعواض.

**الانتحال في الاصطلاح:**

الانتحال هو نسبة الشعر لغير قائله، سواء أكان بنسبة شعر رجل إلى آخر، أو أن يدعي الرجل شعر غيره لنفسه، أو أن ينظم شعرا وينسبه لشاعر، سواء أكان له وجود تاريخي أم ليس له وجود تاريخي. وَرَدَ في معجم المصطلحات، الانتحال: "هو أن يأخُذَ الشَّاعرُ كلامَ غَيْرِه، بعدَ عِلْمِه بِنِسْبَتِهِ له بلفْظِهِ كُلِّه ومن غَيْرِ تغييرٍ لنظْمِه، أو أن يأْخُذ المعنى، وتبدل الكلمات كلها أو بعضها بما يرادفها".

يقول ابن سلام: "وفي الشعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج ، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسيب مستطرف، وقد تداوله من كتاب إلى كتاب، ولم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء.

**موقف النقد القديم من النحل:**

لقد حاول القدماء جاهدين أن ينفوا الزيف عن الشعر الجاهلي بمقاييس كثيرة، وبلغ من حرصهم في هذا الباب أن اتهام بعض الرواة أمثال حماد وخلف، وعدم الثقة بما رووه، كما عرف عن الأصمعي والمفضل الضبي من قبله.

**1/ الانتحال من وجهة نظر ابن سلام الجمحي:**

من أكثر النقاد إثارة للموضوع ابن سلام؛ فقد دوّن في كتابه )طبقات فحول الشعراء( آراء نقدية مهمة في ذلك. وقد رد المسألة إلى عاملين:

1/ **عامل القبائل** التي كانت تتزيد في شعرها لتتزيد في مناقبها. يقول: "لما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم، وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار؛ فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الأشعار''.

ومن ذلك ما زادته قريش في أشعار الشعراء؛ فهي تضيف إلى شعرائها منحولات عليهم، وقد أضافت كثيرًا إلى شعر حسان بن ثابت، يقول: "ويذكر أن من أبناء الشعراء وأحفادهم من كان يقوم بذلك، مثل داود بن متمم بن نُويرة؛ فقد استنشده أبو عبيدة شعر أبيه متمم، ولاحظ أنه لما نفد شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها، وإذا كلامٌ دون كلام متمم، وإذا هو يحتذي على كلامه؛ فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها؛ فلما توالى ذلك علم أبو عبيدة ومن كانوا معه أنه يفتعله".

2/ **عامل الرواة الوضاعين،** ويقدم لنا ابن سلام طائفتين من الرواة كانتا ترويان منتحلًا كثيرًا وتنسبانه إلى الجاهليين، طائفة كانت تحسن نظم الشعر وصوغه، فتضيف ما تنظمه إلى الجاهليين، ومثَّل لها بحماد، وخلف الأحمر، وطائفة لم تكن تحسن النظم ولا الاحتذاء على أمثلة الشعر الجاهلي؛ ولكنها كانت تحمل كل غثاء منه وكل زيف، وهم رواة الأخبار والسير والقصص، من مثل ابن إسحاق راوي السيرة النبوية؛ إذ كانت تصنع له الأشعار ويدخلها في سيرته دون تحرز أو تحفظ.

يقول ابن سلام: ''وقد ذكر أبا سفيان بن الحارث أحد شعراء قريش الذين كانوا يناقضون حسان بن ثابت وشعراء المدينة: إن شعره في الجاهلية "سقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل". ثم علق على ذلك بقوله: "ولسنا نعد ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرًا، ولأن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذاك لهم''.

فالرواة من مثل أبي عبيدة كانوا يراجعون ما ترويه القبائل، إما بالرجوع إلى أصول صحيحة أو إلى أذواقهم وما يحسنون من نقد الشعر ومعرفتهم بالشاعر ونظمه.

ومعضلة الانتحال لا يتصدى لها إلا الناقد المتخصص، إذ ''ليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون من شعر غث لا خير فيه ولا حجة في عربيته ولا أدب يستفاد ولا معنى يستخرج ولا مثل يضرب ولا مديح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مستطرف"، ولكن يشكل معرفة المنتحل منه على ألسنة أهل البوادي من أهل الشعراء خاصة.

**2/ الانتحال من وجهة نظر الجاحظ:**

اعتمد الجاحظ في حديثه عن المنتحل من الشعر على مبدأ شهادة الرواة، وعلى الشعر في حد ذاته في حال تفاوته. ومن الأمثلة التي جاءت في كتابه الحيوان، قوله على بيت نسب لأوس بن حجر:

فانقضّ كالدُّريّ يتبعه نقع يثور تخاله طَنَبًا

''وهذا الشعر ليس لأوس إلا من لا يفصل بين شعر أوس بن حجر وشريح بن أوس''.

وقد اعتمد الجاحظ في فصل المنتحل من الأصيل على تحليل البيت والتدقيق في معناه كما يتبين من حكمه على قول الأفوه الأودي:

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

قائلا: ''وبعد فمن أين علم الأفوه أن الشهب التي يراها إنما هي قذف ورجم وهو جاهلي، ولم يدع هذا أحد قط إلا المسلمون''.

**3/ الانتحال من وجهة نظر ابن رشيق:**

أشار ابن رشيق إلى قضية الانتحال في كتابه (العمدة) في معرض حديثه عن موضوع السرقات. وجعله استلحاق بيت شاعر لشاعر غيره، ومن ذلك أبيات للمعلوط السعدي انتحلهما جرير وهما:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشَلاً بعينك لا يزال معينا

غيّضن من عبراتهن وقلن لي: ماذا لقيت من الهوى وماذا لقينا؟

''فإن الرواة مجمعون على أن البيت للمعلوط السعدي انتحلهما جرير. وانتحل أيضا قول طُفيل الغنوي:

ولما التقى الحيّان أُلقيتِ العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتلهْ

وذكر أن بين جرير والفرزدق شعر منتحل ولكن ذلك ليس عيبا لوروده في باب المناقضات.

**المصادر والمراجع:**

1- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، الأردن، عمان، ط 1، 1993.

2- ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، منشورات محمد علي بيوض، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1222ه، 2010م.

3- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1418ه، 1998م.
4**-** ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ت.